@ 297 @ يدعى إليها ؟ ! 2 2 ! أي : اشهدوا علينا ، أننا إن عدنا إليها بعدما نجانا ا منها ، وأنقذنا من شرها ، أننا كاذبون مفترون على ا الكذب ، فإننا نعلم أنه لا أعظم افتراء ، ممن جعل شريكا ، وهو الواحد الأحد ، الفرد الصمد ، الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولدا ، ولا شريكا في الملك . ! 2 2 ! أي : يمتنع على مثلنا أن نعود فيها فإن هذا من المحال ، فآيسهم عليه الصلاة والسلام ، من كونه يوافقهم ، من وجوه متعددة ، من جهة أنهم كارهون لها ، مبغضون لما هم عليه من الشرك . ومن جهة أنه جعل ما هم عليه كذبا ، وأشهدهم أنه إن اتبعهم ومن معه ، فإنهم كاذبون . ومنها : اعترافهم بمنة ا عليهم إذ أنقذهم ا منها . ومنها : أن عودتهم فيها بعدما هداهم ا من المحالات ، بالنظر إلى حالتهم الراهنة ، وما في قلوبهم من تعظيم ا تعالى ، والاعتراف له بالعبودية ، وأنه الإله وحده ، الذي لا تنبغي العبادة إلا له وحده ، لا شريك له ، وأن آلهة المشركين ، أبطل الباطل ، وأمحل المحال . وحيث أن ا من عليهم ، بعقول يعرفون بها الحق والباطل ، والهدى والضلال . وأما من حيث النظر إلى مشيئة ا ، وإرادته النافذة في خلقه ، التي لا خروج لأحد عنها ، ولو تواترت الأسباب ، وتوافقت القوى ، فإنهم لا يحكمون على أنفسهم أنهم سيفعلون شيئا أو يتركونه ، ولهذا استثنى ! 2 2 ! أي : فلا يمكننا ولا غيرنا ، الخروج عن مشيئته ، التابعة لعلمه وحكمته . وقد ^ (وسع ربنا كل شيء علما) ^ فيعلم ما يصلح للعباد وما يدبرهم عليه . ! 2 2 ! أي : اعتمدنا أنه سيثبتنا على الصراط المستقيم ، وأن يعصمنا من جميع طرق الجحيم ، فإن من توكل على ا ، كفاه ، ويسر له أمر دينه ودنياه 2 ! . 2 ! أي : انصر المظلوم ، وصاحب الحق ، على الظالم المعاند للحق ! 2 2 ! وفتحه تعالى لعباده ، نوعان : فتح العلم ، بتبيين الحق من الباطل ، والهدى من الضلال ، ومن هو المستقيم على الصراط ، ممن هو منحرف عنه . والنوع الثاني : فتحه بالجزاء وإيقاع العقوبة على الظالمين ، والنجاة والإكرام للصالحين . فاسألوا ا أن يفتح بينهم وبين قومهم ، بالحق والعدل ، وأن يريهم من آياته وعبره ، ما يكون فاصلا بين الفريقين . ! 2 2 ! محذرين من اتباع شعيب ، ! 2 2 ! هذا ما سولت لهم أنفسهم أن الخسارة والشقاء ، في اتباع الرشد والهدى ، ولم يدروا أن الخسارة كل الخسارة ، في لزوم ما هم عليه من الضلال والإضلال ، وقد علموا ذلك حين وقع بهم النكال . ! 2 2 ! أي : الزلزلة الشديدة ! 2 ! 2 أي : صرعى ميتين ، هامدين . قال تعالى ناعيا حالهم : ! 2 2 ! أي : كأنهم ما أقاموا في ديارهم ، وكأنهم ما تمتعوا في عرصاتها ، ولا تفيئوا في ظلالها ، ولا غنوا في مسارح

أنهارها ، ولا أكلوا من ثمار أشجارها ، فأخذهم العذاب ، فنقلهم من مورد اللهو واللعب واللذات ، إلى مستقر الحزن والشقاء ، والعقاب ، والدركات ، ولهذا قال : ! 2 2 ! أي : الخسار محصور فيهم لأنهم خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ، وذلك هو الخسران المبين ، لا من قالوا لهم : ! 2 2 ! . فحين هلكوا ، تولى عنهم نبيهم ، عليه الصلاة والسلام ^ (وقال) ^ معاتبا وموبخا ومخاطبا لهم بعد موتهم : ! 2 2 ! أي : أوصلتها إليكم ، وبينتها حتى بلغت منكم ، أقصى ما يمكن أن تصل إليه ، وخالطت أفئدتكم ! 2 2 ! فلم تقبلوا نصحي ولا انقدتم لإرشادي ، بل فسقتم وطغيتم . ! 2 2 ! أي : فكيف أحزن على قوم ، لا خير فيهم ، أتاهم الخير فردوه ، ولم يقبلوه ، ولا يليق بهم إلا الشر ، فهؤلاء غير حقيقين أن يحزن عليهم ، بل يفرح بإهلاكهم ومحقهم ، فعياذا بك اللهم من الخزي والفضيحة ، وأي شقاء وعقوبة أبلغ من أن يصلوا إلى حالة يتبرأ منهم أنصح الخلق لهم ؟ . ! 2 ! 2 يقول تعالى : ! 2 2 ! يدعوهم إلى عبادة ا ، وينهاهم عن ما هم فيه من الشر ، فلم ينقادوا له : ! 2 2 ! أي : ابتلاهم ا ! 2 2 ! أي : بالفقر ، والمرض ، وأنواع البلايا 2 ! . 2 ! إذا أصابتهم ، خضعت نفوسهم فهم ! 2 2 ! إلى ا ، ويستكينون للحق . ^ (ثم) ^ إذا لم يفد فيهم ، واستمر استكبارهم ، وازداد طغيانهم . ! 2 2 ! فأدر عليهم الأرزاق ، وعافى أبدانهم ، ورفع عنهم البلايا . ! 2 2 ! أي : كثروا ، وكثرت أرزاقهم وانبسطوا في نعمة ا وفضله ، ونسوا ما مر عليهم من البلايا . ! 2 2 ! أي : هذه عادة جارية ، لم تزل موجودة في الأولين واللاحقين ، تارة